

المغرب القديم في العصر الحجري

الفرقة الرابعة - كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
جامعة الإسكندرية
spirit-love-N@hotmail.com

وقد تميزت حياة الإنسان الاقتصادية في هذه المرحلة بالجمع والتقطاط، ولذا فإن استقراره في الكهوف وحول العيون والأبار والأودية كان استقراراً مؤقتاً، فسرعان ما ينتقل إلى مكان آخر يبحث فيه عن طعام جديد. وقد ينبع هذا الإنسان الأول في بداية تطوير حياته بصناعة الآلات الحجرية الأولى كالغُصُوص اليدوية.

يُقيّم الإشارة إلى أن النعام هو الطائر الوحيد الذي تأكّد وجوده أثريًا في مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط في المغرب، ومن المعروف أن طبقات عصور ما قبل التاريخ الأثرية في المغرب لم تكّد تخلو واحدة منها من بقى النعام أو قشوره.



وقد اكتشف إنسان العصر الحجري القديم الأسفل عدداً من التجارب دفعته إلى الانتقال إلى العصر الحجري القديم الأوسط والتي تظهر بوضوح في صناعة الأدوات الحجرية، وخاصة في صناعة الشظايا والتي كانت تتطلب تدريباً طويلاً، يظهر ذلك في عمليات ضرب الحجر في زوايا معينة مما يتبع عنه هذه الشظايا المتميزة بحدتها.

مررت منطقة المغرب القديم - أو الشمال الأفريقي - كغيرها من مناطق الشرق الأدنى بعصور ما قبل التاريخ في مراحله المختلفة من العصر الحجري القديم الأسفل إلى الأوسط فال أعلى ، ثم مرحلة العصر الحجري الحديث وقد استمرت هذه المراحل من الناحية الزمنية حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد ، طبقاً للمصادر الكلاسيكية وقد أرجعتها الأدلة الفينيقية الأولى إلى القرن الثامن قبل الميلاد . و ينقسم العصر الحجري القديم إلى ثلاثة أزمنة :-

- أولاً:- العصر الحجري القديم الأسفل.
- ثانياً:- العصر الحجري القديم الأوسط .
- ثالثاً :- العصر الحجري القديم الأعلى.

يرى الباحثون في حضارة العصر الحجري القديم الأسفل أن آثار موقع "عين حنش" .منطقة سطيف في الجزائر تمثل أقدم جهد إنساني في صناعة الأدوات الحجرية في شمال أفريقيا، وذلك أثر العثور على قطع حجرية من الحجر الجيري يقترب شكلها من الشكل الكروي وتتميز بكثرة أضلاعها وزواياها، غير أن الاتجاه الحديث يذهب إلى موقع "عرباوه" في شمال سهول المغرب و "دور الدوم" في محاورات العاصمة المغربية "الرباط" .

و السبب في ذلك أن هذه المواقع إنما تمثل جهداً صناعياً أكثر قدماً من الكرات الحجرية المتقدمة إلى "عين حنش" ، وبالتالي فإنها تمثل أقدم آثار صنعها الإنسان في المغرب الكبير في أقدم عصوره، هذا فضلاً عن أنه قد عثر على موقع في الجزائر يتنبئ لهذه المرحلة حيث كُشف فيه عن طبقه أثرية تمثل حضارة الحصى المشدبة.

ولعل أهم مواقعها إنما كانت تلك التي كشف عنها "ساندفورد" على مقربة من نقاده و فيما بين دندنه والمرادشه، فضلاً عن تلك التي على مقربة من نبع حمادي (محافظه قنا) وأسيوط إلى جانب ما تم كشفه في ضواحي طيبة و في العرابه المدفونه (محافظه سوهاج).

و يرى الباحثين أن الصناعة العاتريه تشبه صناعه "الحضارة الفلوازية الموستيريه الفلسطينيه" في الإنتاج الصناعي و في إيماء كل منهما لفترة زمنية واحدة، وقد طبقت طريقة "كربون ١٤ المشع" على بعض البقايا المتفحمة التي ظهرت عليها في الموقاد في طبقات "كهف هوفتيج" في منطقه وادي درنه، فأدى إلى تقدير عمر هذه البقايا بحوالي ٤٣٠٠٠ ق.م ، كما أن هناك شبهًا بين البقايا العظميه الإنسانية من هذه المرحلة و بين "الإنسان النيدرتالي الفلسطيني".

وقد أدى ذلك كله إلى وجود صلات حضارية و بشريه بين غرب آسيا و خاصةً فلسطين وبين المغرب وخاصةً برقه (شمال شرقي ليبيا) الأمر الذي يدل على وجود جانب شرقي، فضلاً عن العناصر المحليه في حضارة العصر الحجري القديم الأوسط في المغرب.

المراجع

- رشيد الناظوري، المغرب الكبير، الجزء الأول:العصور القديمة، الإسكندرية ١٩٦٦ .
- ام الحير العقون، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر و شمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، الإسكندرية ١٩٨٨ .

و قد ظهر على عدد من المواقع الأثرية تتضمن آثار من مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط ، في بلاد الشمال الأفريقي ، من ليبيا شرقاً، وحتى المحيط الأطلسي غرباً.

ويطلق العلماء على هذه المرحلة الحضارية من عصور ما قبل التاريخ اسم الحضارة " العاتريه " نسبة إلى موقع " بئر العاتر " في وادي جبانة قريباً من قسنطينة في الجزائر، على الحدود بينها وبين تونس، وقد تم أيضاً العثور على الصناعة العاتريه من قبل بعض الباحثين.

و قد وجدت العاتريه بمعظمهما الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في جميع أنحاء المغرب، فوُجِدَت في الرسومات السطحية لوادي جبانة ووادي حوف الجمل وكاف الأحمر ووادي سردليس، وفي رمال جبل عواش، وفي رواسب الرمل الأحمر على طول الساحل الجزائري في كاروبيه وضواحي بتررت وغيرها.

و يبدو أن الإنسان في هذا العصر، قد استعمل بجانب الحجر الأحشاب و الجلد و العظام و بقى النعام أو قشوره، كما بدأ يدرك حقيقة وجود قوى خفية تحكم في الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية، وأراد تحسيم هذه القوى في أماكن معينة لكي يحاول استرضاءها ضماناً لحمايةه و مصيره.

وقد اختلف الباحثون حول المناخ الذي ساد الشمال الأفريقي إبان عصر الحضارة العاتريه، فريق يرى أن المناخ كان رطباً حاراً، وآخر يرى أنه كان جافاً، و من يحاول التوفيق بين الاتجاهين يذهب إلى أن المناخ إنما كان وقت ذاك يتميز بالبرطوبة الشديدة، مع انخفاض قليل في درجة الحرارة.

وعلى أيه حال فالرأي عند " كاتون طمسون " أن موقع الحضارة (طقه أ) في المغرب الأقصى، إنما يمثل مرحلة العاتريه في الشمال الأفريقي، ثم انتشرت جنوب الأطلسي الصحراوي في العصر العاتري الوسيط. وهناك من يذهب إلى أن الصناعة العاتريه قد وصلت إلى مصر في العصر الحجري القديم الأوسط.